

كامل كيلاني

في بلاد العجائب



في بلاد العجائب

في بلاد العجائب

تأليف
كامل كيلاني

صفحات

<http://www.safahat.org>

في بلاد العجائب

كامل كيلاني

موقع صفحات

جميع الحقوق محفوظة للناشر موقع صفحات
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن موقع صفحات غير مسئول عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٢٧٤٣١ ٢٠٢ + فاكس: ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢ +

البريد الإلكتروني: safahat@safahat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.safahat.org>

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لموقع صفحات.
جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Safahat.

All other rights related to this work are in the public domain.

في بلاد العجائب

(١) بلادُ العجائبِ

تَبَدُّأُ هَذِهِ الْقِصَّةُ حِينَ كَانَ هَذَا الْعَالَمُ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ — فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِ — طِفْلاً، فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا فِي ذَلِكَ الْحِينِ — مُنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ — فِي طُفُولَتِهَا، أَعْنِي: أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَهْلَةً (عَامِرَةً) بِالسُّكَّانِ وَالْبُلْدَانِ. وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ — حِينَئِذٍ — إِلَّا تِلْكَ الْبِلَادُ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا بَطَلًا هَذِهِ الْقِصَّةُ، فِيمَا يَقُولُ الْقِصَّاصُونَ، أَعْنِي: رِوَاةَ الْقِصَصِ الَّذِينَ يَحْكُونَهَا.

وَقَدْ أَطْلَقَ الْقِصَّاصُونَ عَلَى تِلْكَ الْبُقْعَةِ الْبَعِيدَةِ مِنَ الْأَرْضِ اسْمَ: بِلَادِ الْعَجَائِبِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا فِيهَا كَانَ عَجِيبًا، لَا يُصَدِّقُهُ الْعَقْلُ، كَمَا تَحَدَّثْنَا بِذَلِكَ الْأَسَاطِيرُ، وَالْأَخْبَارُ الْخَيَالِيَّةُ الْقَدِيمَةُ.

(٢) بَيْتٌ «لَا فِظُ»

وَقَدْ حَاوَلَ الْبَاحِثُونَ أَنْ يَتَعَرَّفُوا مَكَانَ هَذِهِ الْبِلَادِ — مِنَ الْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ — لِيَعْرِفُوا طَرِيقَهَا، وَلَكِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنِ الْإِهْتِدَاءِ إِلَيْهَا، وَلَمْ يُوفِّقُوا إِلَى مَكَانِهَا. وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ هُوَ: تَقَادُّمُ الْعَهْدِ (بَعْدَ الزَّمَنِ) عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ عَنِ سُكَّانِ الدُّنْيَا. عَلَى أَنَّ الْأُسْطُورَةَ تُخْبِرُنَا: أَنَّ غُلَامًا اسْمُهُ «لَا فِظُ» قَدْ نَشَأَ فِي «بِلَادِ الْعَجَائِبِ» مِنْ غَيْرِ أُمَّ وَلَا أَبِي، كَمَا تَنَشَأُ الْأَطْفَالُ جَمِيعًا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ كُلِّهَا.

أَرَاكَ تَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ أَيُّهَا الطُّفْلُ الْعَزِيزُ! فَلَمَّاذَا؟ أَلَا تَذْكُرُ أَنَّي أُحَدِّثُكَ عَنْ بِلَادِ الْعَجَائِبِ؟ فَلَا تَدْهَشْ مِمَّا تَقْرُؤُهُ، فَإِنَّ كُلَّ مَا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ عَجِيبٌ. وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا أَطْلَقْتُ عَلَيْهَا الْأَسَاطِيرَ اسْمًا: «بِلَادِ الْعَجَائِبِ».

وَكَانَ «لَا فِظٌ» يَعْيشُ — بِمُفْرَدِهِ (وَحْدَهُ) — فِي بَلَدٍ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ رَفِيقٍ (صَاحِبٍ) يُؤْنَسُهُ وَيُسَلِّيه. وَكَانَ يَسْكُنُ — فِي طُفُولَتِهِ — بَيْتًا صَغِيرًا، لَا يَعْرِفُ مَنْ بَنَاهُ لَهُ، وَلِكِنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ فِيهِ — مُنْذُ نَشَأَتِهِ — فَاتَّخَذَهُ سَكَنًا لَهُ وَمَأْوَى.

(٣) الصُّنْدُوقُ الْمُقْفَلُ

فَلَمَّا كَبِرَ الطُّفْلُ قَلِيلًا قَدِمَتْ عَلَيْهِ (جَاءَتْ إِلَيْهِ) طِفْلَةٌ اسْمُهَا: «لَا حِظَّةٌ»، وُلِدَتْ فِي بَلَدٍ نَائٍ (بَعِيدٍ) مِنْ بِلَادِ الْعَجَائِبِ، مِنْ عَيْرِ أُمِّ وَلَا أَبِي. وَبَحَثَتْ «لَا حِظَّةٌ» عَنْ بَيْتِ تَأْوِي إِلَيْهِ (تَسْكُنُهُ)، حَتَّى اهْتَدَتْ إِلَى بَيْتِ «لَا فِظٍ» فَاتَّخَذَتْهَا لَهَا سَكَنًا.

وَلَمَّا رَأَاهَا «لَا فِظٌ» ابْتَهَجَ لِمَقْدَمِهَا، وَهَشَّ لَهَا وَبَشَّ (ابْتَهَجَ)، وَاتَّخَذَهَا صَدِيقَةً لَهُ — مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ — وَتَقَاسَمَا ذَلِكَ الْبَيْتَ. وَلَكِنَّ «لَا حِظَّةً» لَمْ تَكُنْ تَسْتَفِرُّ فِي بَيْتِ «لَا فِظٍ» حَتَّى اسْتَرْعَى بَصَرَهَا صُنْدُوقَ مُقْفَلٍ.

فَسَأَلَتْ «لَا فِظًا» عَمَّا يَحْوِيهِ ذَلِكَ الصُّنْدُوقُ، فَقَالَ لَهَا: «لَسْتُ أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ هَذَا الصُّنْدُوقِ الْمُقْفَلِ، وَلَا دِرَايَةَ لِي بِمَا يَحْوِيهِ، وَمَبْلُغُ عِلْمِي أَنَّ فِيهِ سِرًّا، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ».

فَقَالَتْ «لَا حِظَّةٌ»: «فَكَيْفَ وَصَلَ إِلَيْكَ؟»

فَقَالَ لَهَا «لَا فِظٌ»: «وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي لِي (لَا يَسْهُلُ عَلَيَّ) أَنْ

أُبَوِّحَ بِهَا».

فَعْضِبَتْ «لَا حِظَّةٌ» وَقَالَتْ لِصَدِيقِهَا «لَا فِظٍ»: «نَبَأًا لِهَذَا الصُّنْدُوقِ، (فَلْيُكْسِرْ وَيَحَطِّمْ). لَقَدْ عَافَتْهُ نَفْسِي (كَرِهْتَهُ). وَلَسْتُ أَطِيقُ رُؤْيَتَهُ — بَعْدَ الْيَوْمِ — مَا دُمْتُ أَجْهَلُ مَا يَحْتَوِيهِ. وَمَا أَجْدِرَكَ أَنْ تَقْدِفَ بِهِ خَارِجَ الْبَيْتِ، حَتَّى لَا تَقَعَ عَلَيْهِ عَيْنَايَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ!»



فَقَالَ لَهَا «لَافِظٌ»: «لَا يَحْزُنُكَ — مِنْ أَمْرِ هَذَا الصُّنْدُوقِ — شَيْءٌ، وَلَا تَشْغَلَنَّ بِهِ نَفْسَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ. وَهَلُمَّيْ (تَعَالِي) نَلْعَبْ مَعَ أَصْدِقَائِنَا مِنَ الْأَطْفَالِ لِنَسْرِي (لِنُذْهَبَ) عَنْ نَفْسَيْنَا مَا أَلَمَ بِهِمَا مِنَ الْكَدْرِ، وَاتَّصَلَ بِهِمَا مِنَ الْهَمِّ.»

(٤) حَيَاةُ السُّعْدَاءِ

كَانَ «لَافِظٌ» وَ«لَا حِظَّةٌ» يَعِيشَانِ فِي بِلَادِ الْعَجَائِبِ مِنْذُ آلَافِ السِّنِينَ. وَكَانَتِ الدُّنْيَا — فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ السَّحِيقِ، (الزَّمَنِ الْقَدِيمِ) — غَيْرَ دُنْيَانَا هَذِهِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا. وَكَانَ الْعَالَمُ كُلُّهُ — حِينئذٍ — لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ، وَلَا يَشْعُرُ سَاكِنُوهُ بِالْأَلَمِ، وَلَا يُلِمُّ الْمَرَضُ بِهِمْ، (لَا يُصِيبُهُمْ)، وَلَا يَنْعَرِّضُونَ لِأَيِّ خَطَرٍ كَانَتْ مَا كَانَ.

وَلَمْ يَكُنِ الْأَطْفَالُ — فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ — يَحْتَاجُونَ إِلَى آبَاءِ وَأُمَّهَاتٍ، لِلْعِنايةِ بِأَمْرِهِمْ، وَتَحْذِيرِهِمُ الْأَخْطَارَ، وَوَقَايَتِهِمُ الْأَمْرَاضَ. وَلَمْ تَكُنْ تَبَاهُهُمْ فِي حَاجَةِ إِلَى مَنْ يَصْلِحُهَا. وَكَانَتْ الْأَرْضُ تُنْبِتُ أَشْهَى الثَّمَارِ، وَأَطْيَبَ الْفَوَاكِهَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَهَّدَهَا أَحَدٌ بِالْبَذْرِ، وَالْحَرْثِ، وَالسَّقْيِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

وَكَانَتْ وَسَائِلُ الْعَيْشِ كُلُّهَا مُمَهَّدَةً، وَطَرَائِقُ الْحَيَاةِ مُسْتَقِيمَةً مُيسَّرَةً (مُهيَّأَةً مُسهَّلةً)، وَالدُّنْيَا صَافِيَةً لَا كَدَرَ فِيهَا. وَلَمْ يَكُنِ الْأَطْفَالُ يَشْكُونَ شَيْئًا مِمَّا يَشْكُوهُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ — يَشْغَلُهُمْ طُولَ يَوْمِهِمْ — إِلَّا اللَّعْبُ، وَالْجَرْيُ، وَالْقَفْزُ، وَالضَّحِكُ، وَالِاسْتِمَاعُ إِلَى شَدْوِ الْحَمَائِمِ (غِنَاءِ الْحَمَامِ)، وَأَعَارِيدِ الْأَبْلَابِ، وَالِابْتِهَاجُ بِرَوَائِعِ الطَّبِيعَةِ، وَالتَّامُّلُ فِي مَشَاهِدِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الَّتِي تَمَلَأُ النُّفُوسَ بِهَجَّةٍ وَانْشِرَاحًا. وَلَمْ يَكُنِ الْأَطْفَالُ — فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ — يَعْرِفُونَ الْخِصَامَ وَالْمُشَاجِرَةَ، وَلَا يَغْتَرِي نَفُوسَهُمُ الضَّجْرُ (لَا يُصِيبُهُمُ الْقَلْقُ)، وَلَا يَذْرِكُونَ شَيْئًا مِنْ مَعَانِي الْجُبْنِ، وَالْكَذِبِ، وَالْأَلَمِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَقِيرَةِ، وَالنَّقَائِصِ الْكَبِيرَةِ.

(٥) بَدْءُ الشَّرِّ

وَكَانَتْ «لَاِحِظَةُ» — لِسُوءِ الْحِظِّ — أَوَّلَ طِفْلَةٍ عَرَفَتْ الْحُزْنَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ. وَكَانَ مَقْدِمُ هَذِهِ الطِّفْلَةِ — الْغَرِيبَةِ عَنِ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ — مَصْدَرُ شَقَاءِ الْعَالَمِ، وَسَبَبُ نَكْبَاتِهِ الَّتِي نَشْكُو مِنْهَا إِلَى الْآنِ. وَكَانَ أَوَّلَ مَا أَحَسَّتْ بِهِ «لَاِحِظَةُ» مِنَ الْأَلَمِ، جِزْمَانَهَا رُؤْيَا مَا يَحْوِيهِ ذَلِكَ الصُّنْدُوقُ الْمَغْلُوقُ، وَحِرْصُهَا الشَّدِيدُ عَلَى تَعْرِفِ مَا فِيهِ مِنْ أَسْرَارٍ مَحْجُوبَةٍ (مَسْتُورَةٍ). وَكَانَ حَيْرًا لَهَا — وَلِلنَّاسِ كُلِّهِمْ مِنْ بَعْدِهَا — أَنْ تَجْهَلَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ ذَلِكَ الصُّنْدُوقُ مِنَ الْغَايِ وَخَفَايَا، وَأَنْ تَبْتَعِدَ عَمَّا يَجْلِبُهُ عَلَيْهَا مِنْ مَصَائِبَ وَرَزَايَا، وَأَنْ تُرِيحَ بِهَا، فَلَا تَسْأَلَ عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بَدَتْ لَهَا سَاءَتْهَا وَالْحَقَّتْ بِهَا ضُرُوبُ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ، وَإِنْ حُجِبَتْ عَنْهَا نَفَعَتْهَا وَأَبَقَتْ لَهَا مَا تَمَتَّعَ بِهِ مِنْ فُنُونِ الْبَهْجَةِ وَالنَّهْائِ. وَلَكِنَّ فُضُولَهَا (دُخُولَهَا فِيهَا لَا يَعْنِيهَا) قَدِ انْتَهَى بِهَا إِلَى خَاتِمَةِ مَحْزَنَةِ مُفْرِعَةٍ. وَكَانَ ذَلِكَ الْفُضُولُ بَدْءَ الشَّرِّ، وَأَصْلَ الْفَسَادِ الَّذِي طَغَى عَلَى عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ، مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ.

(٦) حوار «لافظ» و«لاحظة»

وطلَّت «لاحظة» مهمومة، مشغولة البال، لا يهدأ لها ثائر (لا يسكن ما يثور في نفسها من الفلق)، ولا يرتاح لها خاطر، أو ترى (حتى ترى) ما يحويه الصندوق المغلق، وتتعرَّف اللُّغز المُستسرَّ فيه (تُدرك السرَّ الخفي الذي يحويه).

وما زال الألم يتجسَّم ويعظم في نفسها — يوماً بعد يوم — حتى انتهى بها إلى حسرة. وتبدل سرورها غمًا، وأنسها همًا، وأصبح البيت أقلَّ إشراقًا وبهجة من البيوت الأخرى التي يقطنها أطفال المدينة.

وطلَّت «لاحظة» تسأل صاحبها «لافظًا» مستفسرة منه كلَّ يوم: «كيف جاءك هذا الصندوق؟ وماذا يحويه من الغاز وأسرار؟» فلا يجيبها «لافظ» بشيء.

ومرَّت على ذلك أيام، وهي لا تكفُّ (لا تسكت) عن تكرار هذين السؤالين على صاحبها «لافظ» حتى ضجر بإلحاحها. وكان هذا أولَّ ضجرٍ شعر به أولُّ طفل من ساكني تلك البلاد. وقد حاول صاحبها أن ينسيها أمر الصندوق، ويغيرها باللعب مع أطفال المدينة، ولكنها أصرت على عنادها، وقالت له متأففة (متضجرة): «لقد مللت اللعب، وسميتُ اللهو، ولن يرتاح بالي حتى تُخبرني بما يحويه الصندوق المغلق». وتمةً (هنا) أحس «لافظ» أن الضجر قد بدأ يساور نفسه، أعني: أنه شعر أن السامة بدأت تلاحقه وتغالبه، لإلحاحها وعنادها. فقال لها: «لقد تأكَّد لك — مما قلتُ أكثرَ من خمسين مرَّةً — أنني أجهل ما يحويه هذا الصندوق، ولا أعرف أيَّ سرٍّ يحبُّه في ثناياه، فكيف أجيبك إلى طلبتك، وأحقِّق لك أمْنيتك؟»

فنظرت إليه بموخرٍ عينيها، (طرف ناظرها)، وقالت له: «وماذا عليك إذا أدنت لي بفتح هذا الصندوق، لعلنا نتعرَّف ما يحبُّه عن أنظارنا من حقائق؟»

فقطب «لافظ» جبينه حين سمع من «لاحظة» هذا الكلام الجريء، وسيء وجهه (تغيَّر إلى حال سيئة) من الرعب والفرع. وقال لها مدهوشًا: «ماذا تقولين يا «لاحظة»؟ أتريدان أن أخالف النصيحة، ولا أوفي بالعهد؟ كيف هذا؟ لقد كنتُ واثقًا من راحة عقلك (عظمه)، وأصالة رأيك (جودته)، فكيف تخلفين ظني فيك؟»

(٧) «عُطَارِدُ»

فَقَالَتْ لَهُ «لَا حِظَّةُ»: «فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تُخْبِرَنِي: كَيْفَ عَثَرْتَ عَلَى هَذَا الصُّنْدُوقِ فِي بَيْتِكَ؟»
فَقَالَ لَهَا «لَا فِظْ»: «لَنْ أَضَنَّ (لَنْ أَبْخَلَ) عَلَيْكَ بِالْإِجَابَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، فَاعْلَمِي —
يَا عَزِيزَتِي — أَنْ «مَلَكًا» (رُوحًا سَمَاوِيًّا) — مِنْ الْمَلَائِكِ — قَدْ جَاءَنِي بِهَذَا الصُّنْدُوقِ،
وَوَضَعَهُ فِي بَيْتِي، وَطَلَبَ مِنِّي أَلَّا أَفْتَحَهُ.

وَكَانَ فِي يَدِهِ عَصَا جَمِيلَةٌ الشَّكْلِ. وَهُوَ — كَمَا رَأَيْتُهُ — مِثَالٌ لِلْوَدَاعَةِ وَاللُّطْفِ
وَالذِّكَاةِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْتُمَ ابْتِسَامَةً كَانَتْ يُحَاوِلُ إِخْفَاءَهَا حِينَ وَضَعَ الصُّنْدُوقَ
عَلَى الْأَرْضِ. وَلَوْ رَأَيْتَ هَذَا الْمَلَكَ لَدَهَشْتِ مِنْ جَنَاحَيْهِ الشَّافِقِينَ (الرَّقِيقِينَ) الظَّرِيفِينَ،
وَأَعْجَبْتِ بِمَا فِيهِمَا مِنَ الرَّيْشِ الْفَاجِرِ، الْمُتَالِقِ نُورًا.

فَقَالَتْ «لَا حِظَّةُ»: «وَكَيْفَ كَانَتْ عَصَاهُ الَّتِي يَحْمِلُهَا؟»

فَأَجَابَهَا «لَا فِظْ»: «كَانَتْ أَغْرَبَ عَصَا رَأَيْتُهَا فِي حَيَاتِي. وَأَنْتِ — إِذَا رَأَيْتَهَا — حُيِّلَ
إِلَيْكَ أَنْ تُعْبَانِينَ قِدَ التُّفَا، لِأَنَّ بَرَاعَةَ النَّقْشِ الَّتِي عَلَيْهَا قَدْ فَاقَتْ كُلَّ بَرَاعَةٍ، حَتَّى لَقَدْ
حَسِبْتُ عَلَيْهَا تُعْبَانِينَ حَقًّا!»

فَأَطْرَقَتْ «لَا حِظَّةُ» قَلِيلًا، ثُمَّ التَّفَتَتْ إِلَى «لَا فِظْ» قَائِلَةً: «لَقَدْ عَرَفْتُ هَذَا الْمَلَكَ، فَهُوَ
— بِلَا شَكٍّ — «عُطَارِدُ». وَاسْتُ أَشْكُ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِي إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ،
وَأَدْخَلَنِي هَذَا الْبَيْتَ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيَّ هَذَا الصُّنْدُوقَ — بِلَا رَيْبٍ — وَخَصَّنِي بِهِ
وَحْدِي. وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ قَدْ مَلَأَهُ بِالْتَّحْفِ (الْأَشْيَاءِ النَّمِيْنَةِ)، وَالنَّبَاتِ الْفَاجِرَةِ لِي وَلكَ.»
فَقَالَ لَهَا «لَا فِظْ» وَقَدْ أَشَاحَ (انْحَرَفَ وَانصَرَفَ) بِوَجْهِهِ عَنْهَا، مُتَأَلِّمًا: «رُبَّمَا كُنْتُ
عَلَى حَقٍّ، فِيمَا تَطْنِينُ وَلَكِنَّا — عَلَى كُلِّ حَالٍ — لَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَفْتَحَ الصُّنْدُوقَ، قَبْلَ
أَنْ يَأْذَنَ لَنَا «عُطَارِدُ» فِي فَتْحِهِ.»

(٨) سُحْطُ «لَا حِظَّةُ»

ثُمَّ خَرَجَ «لَا فِظْ» مِنَ الْبَيْتِ — بِمُفْرَدِهِ — وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةَ الْأُولَى الَّتِي خَرَجَ فِيهَا
دُونَ أَنْ يَصْحَبَ «لَا حِظَّةَ». وَإِنَّمَا دَفَعَهُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ سَيَّمِ جَوَارِهَا (مَلَّ حَدِيثُهَا)، وَضَجَرَ
بِإِلْحَاحِهَا، وَبَرَمَ (قَلِقَ) بَعْنَادِهَا. وَكَانَ يَتَمَنَّى لَوْ أُتِيحَتْ لَهُ فُرْصَةٌ يَلْقَى فِيهَا «عُطَارِدًا»

لِيرِدَ إِلَيْهِ أَمَانَتَهُ الَّتِي ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا. وَيَوُدُّ لَوْ أَنَّ «عُطَارِدًا» كَانَ قَدْ وَصَعَ ذَلِكَ الصُّنْدُوقَ فِي بَيْتِ أَيِّ طِفْلِ آخَرَ. وَيَأْسَفُ لِأَنَّ ذَلِكَ الصُّنْدُوقَ الْمَشْتُومَ قَدْ أَثَارَ فِي نَفْسِ «لَاِحِظَةَ» فُضُولَهَا، وَأَزَعَجَ بِهَا، وَكَدَّرَ صَفْوَهَا.

أَمَّا «لَاِحِظَةَ» فَقَدْ اشْتَدَّ هَمُّهَا، وَتَعَاطَمَهَا الْوُجُدُ (اشْتَدَّ عَلَيْهَا الْحُزْنُ) وَتَمَلَّكَهَا الْفُضُولُ لِرُؤْيَا مَا يَحْوِيهِ الصُّنْدُوقُ. وَقَدْ لَعْنَتْهُ لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبَ هَمِّهَا وَمَصْدَرَ أَلَمِهَا.

أَجَلٌ، لَقَدْ لَعَنَتِ الصُّنْدُوقَ أَلْفَ لَعْنَةٍ لِأَنَّهُ أَثَارَ حُزْنَهَا، فَوَصَفَتْهُ بِالْقُبْحِ وَإِنَّ لَمْ يَكُنْ قَبِيحًا، فَقَدْ كَانَ خَشْبُهُ بَدِيعًا، وَصَنَعَتْهُ دَقِيقَةً، وَسَطَحَهُ مَصْقُولًا (نَاعِمَ الْمَمْسِ) كَالْمِرْآةِ: يَرَى النَّاطِرُ فِيهِ وَجْهَهُ. وَكَانَتْ جَوَانِبُهُ مُوشَاةً (مُحَلَاةً) بِالنَّقُوشِ الرَّائِعَةِ، الَّتِي تَمَثَّلُ جَمَهَرَةً (جَمَاعَةً) مِنْ حِسَانِ الْأَطْفَالِ وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، تَحْفُهُمْ (تُحِيطُ بِهِمْ) الْأَشْجَارُ وَالْأَزْهَارُ وَالرِّيَّاحِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

(٩) آخِرَةُ الْفُضُولِ

وَأَطَالَتْ «لَاِحِظَةَ» تَأَمُّلَهَا وَتَفْكِيرَهَا فِي ذَلِكَ الصُّنْدُوقِ، فَلَمْ تَرَ عَلَيْهِ قُفْلًا وَلَا رِتَاجًا (شَيْئًا يُغْلِقُهُ). وَلَكِنَّهَا أَبْصَرَتْ عُقْدَةً مُشْتَبِكَةً بِحَبْلِ ذَهَبِيٍّ. وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَعَرَّفَ مَبْدَأَ تِلْكَ الْعُقْدَةِ أَوْ نِهَائِيَّتَهَا، فَزَادَهَا ذَلِكَ شَوْقًا إِلَى إِنْعَامِ النَّظَرِ (إِطَالَةِ الرُّؤْيَا)، وَإِمْعَانِ الْفِكْرِ فِي أَمْرِهَا. وَأَمْسَكَتْ بِالْعُقْدَةِ بَيْنَ إِبْهَامَيْهَا (وَهِيَ الْإِصْبَعُ الْكُبْرَى) وَسَبَابِئِهَا (وَهِيَ الْإِصْبَعُ الَّتِي نَشِيرُ بِهَا وَهِيَ تَلِي الْإِبْهَامِ). وَقَدْ حَاولَتْ — جُهْدَهَا — أَنْ تَهْتَدِيَ إِلَى حَلِّ الْعُقْدَةِ، فَلَمْ تَفْلِحْ. فَقَالَتْ، تُحَدِّثُ نَفْسَهَا: «لَا شَكَّ أَنَّي قَادِرَةٌ عَلَى حَلِّ هَذِهِ الْعُقْدَةِ، وَلَكِنِّي أَرَى مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْحَزْمِ، أَنْ أُرْجِيَ (أَوْخِرَ) فَتَحَهَا حَتَّى يَحْضَرَ «لَاِفِظْتُ»، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّهُ لَنْ يَأْدُرَ لِي فِي ذَلِكَ. فَهَوُ — فِيمَا أَعْلَمُ — عَيْنِدُ أَحْمَقُ (لَا عَقْلَ لَهُ).»

وَقَدْ أَخْطَأَتْ «لَاِحِظَةَ» حِينَ أَرْمَعَتْ (عَزَمَتْ) فَتَحَ الصُّنْدُوقَ. وَكَانَ أَوَّلَى بِهَا، وَأَجْدَى عَلَيْهَا (أَنْفَعَ لَهَا) أَنْ تَعْدِلَ عَنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ الْخَاطِئَةِ. وَلَكِنَّهَا كَانَتْ — عَلَى كُلِّ حَالٍ — طِفْلَةً غَيْرَ مُجَرَّبَةٍ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّ إِقْدَامَهَا عَلَى مُخَالَفَةِ النَّصِيحَةِ سَيُورِثُهَا عَمًّا وَهَمًّا لَا يَنْتَهِيَانِ.

وَلَعَلَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَطْفَالِ الْحَمَقِي كَانُوا يَفْعَلُونَ مَا فَعَلَتْهُ «لَاِحِظَةُ» لَوْ أَنَّهْمُ كَانُوا مَكَانَهَا. وَمَا أَظْنُهُمْ يَكُونُونَ أَكْثَرَ عَقْلًا، وَأَوْفَرَ (أَكْثَرَ) حَزْمًا مِنْ تِلْكَ الْفَتَاةِ الْحَمَقَاءِ.

وَجُمَاعُ الْقَوْلِ (خُلَاصَةُ الْكَلَامِ) أَنَّ «لَا حِظَّةَ» — فِي هَذَا الْيَوْمِ — لَمْ تُطَقَّ صَبْرًا عَلَى مُغَالَبَةِ فُضُولِهَا. فَاِنْتَهَى بِهَا الْأَمْرُ إِلَى قَرَارِ حَاطِرٍ: هُوَ اعْتِرَافُهَا أَنَّ تَفْتِاحَ الصُّنْدُوقِ، فِيهَا لَهَا مِنْ حَمَقَاءَ بِلَهَاءِ (نَاقِصَةِ الْعَقْلِ).

(١٠) حَلُّ الْعُقْدَةِ

افْتَرَبَتْ «لَا حِظَّةَ» مِنَ الصُّنْدُوقِ، وَقَدْ أَجْمَعَتْ (عَزَمَتْ) عَلَى فَتْحِهِ. وَحَاوَلَتْ أَنْ تَرْفَعَهُ بِيَدَيْهَا عَنِ الْأَرْضِ، فَوَجَدَتْهُ ثَقِيلًا جِدًّا، لِأَنَّهَا كَانَتْ — كَمَا حَدَّثْتَكُمْ — طِفْلَةً، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى حَمْلِ الصُّنْدُوقِ، وَلَيْسَ لَهَا طَاقَةٌ (قُوَّةٌ) عَلَى رَفْعِهِ.

فَأَفْرَعَتْ قُصَارَى جُهْدِهَا (بَدَلَتْ كُلَّ مَا فِي قُدْرَتِهَا) فِي رَحْزَةِ الصُّنْدُوقِ عَنِ مَكَانِهِ، وَاسْتَطَاعَتْ — بِكَدٍّ وَاسْتِكْرَاهٍ — أَنْ تَرْفَعَ أَحَدَ أَطْرَافِهِ عَنِ الْأَرْضِ قَلِيلًا ثُمَّ خَانَتْهَا قُوَاهَا، فَسَقَطَ الصُّنْدُوقُ، وَأَحْدَثَ سُقُوطَهُ دَوِيًّا هَائِلًا مُفْرِعًا، خِيلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا تَسْمَعُ شَيْئًا يَنْحَرِّكُ دَاخِلَهُ، فَأَرْهَفَتْ أُذُنَيْهَا وَأَصْغَتْ، وَإِذَا بِصَوْتٍ خَافِتٍ أَشْبَهَ بِالطَّنِينِ، فَاشْتَدَّتْ رَغْبَتُهَا فِي تَعْرِفِ مَصْدَرِ هَذَا الصَّوْتِ الْخَافِتِ.

ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا، فَلَاحَتْ مِنْهَا النِّفَاطَةَ إِلَى الْعُقْدَةِ الَّتِي يَنْتَهِي بِهَا ذَلِكَ الْحَبْلُ الذَّهَبِيُّ، فَبَحَّتْ — جَاهِدَةً — عَنِ طَرَفَيْهَا، وَظَلَّتْ تَعْبَثُ بِهَا، وَهِيَ تُحَاوِلُ إِمْكَانَهَا لَعَلَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحُلَّ الْعُقْدَةَ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى ذَلِكَ. كَيْفَ اهْتَدَتْ إِلَى حَلِّ الْعُقْدَةِ؟ ذَلِكَ مَا لَمْ تُحَدِّثْنَا بِهِ الْأُسْطُورَةُ.

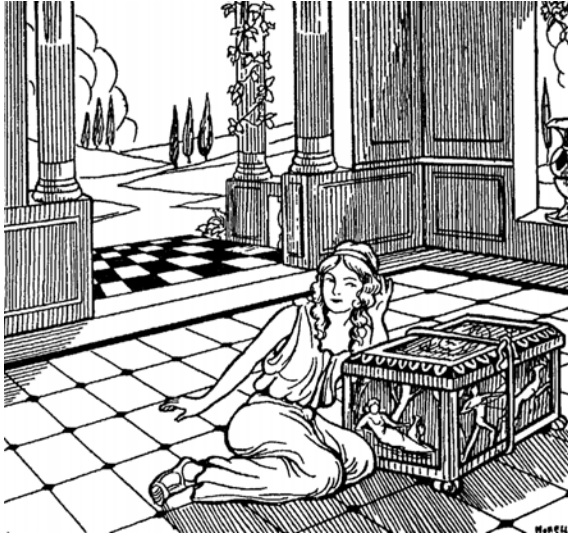
(١١) تَرَدُّدُ «لَا حِظَّةَ»

وَمَا انْتَهَتْ إِلَى هَذِهِ الْعَايَةِ، حَتَّى نَفَذَتْ (دَخَلَتْ) أَشْعَّةَ الشَّمْسِ مِنْ نَافِذَةِ الْبَيْتِ — وَكَانَتْ مَفْتُوحَةً حِينِيذٍ — فَطَرَقَ سَمْعَهَا أَصْوَاتُ الْأَطْفَالِ فِي الْخَارِجِ، وَهُمْ يَمْرَحُونَ وَيَلْعَبُونَ. وَلَعَلَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ «لَا فِظٍ» وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ فِي فَرَحٍ وَاعْتِبَاطٍ.

وَقَدْ كَانَتْ جَدِيرَةً أَنْ تَنْتَهَرَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْجَمِيلَةَ، فَتَعْدِلَ عَنْ فِكْرَتِهَا الطَّائِشَةِ (الَّتِي لَا صَوَابَ فِيهَا) وَتَخْرُجَ لِتَلْعَبَ مَعَ أَصْحَابِهَا وَأَتْرَابِهَا (مَنْ يُشَبِّهُونَهَا فِي عُمْرِهَا) مِنَ الْأَطْفَالِ الْعُقْلَاءِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْجَمِيلِ الصَّحْوِ. وَلَكِنهَا — لِسُوءِ الْحِظِّ — لَمْ تَفْعَلْ، وَابْتِئَتْ إِلَّا أَنْ تُتَمَّ مَا اعْتَزَمْتَهُ.

وَلَا حَتَّ مِنْهَا التِّفَاتَةُ، فَرَأَتْ رَأْسًا مُتَوَجًّا بِالْأَزْهَارِ وَالرِّيَاحِينَ — هُوَ رَأْسُ أَحَدِ
النُّقُوشِ الَّتِي نُقِشَتْ عَلَى الصُّنْدُوقِ — فَخَيَّلَ إِلَيْهَا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُبْتَسِمًا، فَقَالَتْ
فِي نَفْسِهَا: «يُظْهِرُ لِي أَنَّ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةَ الْخَبِيثَةَ إِنَّمَا تَعْنِي السُّخْرِيَّةَ (الِاسْتِهْزَاءَ) بِي
فَلَأَكْفَّ عَنْ هَذِهِ الْمَجَازِفَةِ (فَلَأَمْتَنِعَ عَنِ التَّدْخُلِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِرِ). ثُمَّ حَاوَلَتْ أَنْ
تَرِبِّطَ الْأَنْشُوطَةَ (الْعُقْدَةَ) كَمَا كَانَتْ، فَلَمْ تُوَفَّقْ إِلَى ذَلِكَ، وَضَاعَ تَعْبُهَا سُدَى (مَنْ غَيْرِ
فَائِدَةٍ). وَحَاوَلَتْ أَنْ تَذْكُرَ أَنْشُوطَةَ الْحَبْلِ الذَّهَبِيِّ، وَكَيْفَ كَانَ شَكْلُهَا لِتُعِيدَهَا — كَمَا
كَانَتْ — فَلَمْ تَفْلَحْ.

وَاعْتَزَمَتْ أَنْ تَتْرَكَ الصُّنْدُوقَ، ثُمَّ حَشِيَتْ أَنْ يَعُودَ «لَا فِطْرًا» فَيَتَّهَمَهَا بِأَنَّهَا خَالَفتِ
النَّصِيحَةَ، وَحَاوَلَتْ أَنْ تَفْتَحَ الصُّنْدُوقَ، ثُمَّ عَدَلَتْ عَنْ فِكْرَتِهَا بَعْدَ أَنْ عَجَزَتْ عَنْ فَتْحِهِ.
ثُمَّ عَرَفَتْ أَنَّهَا — إِذَا تَرَكْتَهُ، أَوْ وُفِّقَتْ إِلَى فَتْحِهِ سِرًّا — فَهِيَ عَلَى الْحَالِينَ قَدْ خَانَتْ
الْأَمَانَةَ، وَخَالَفتِ النَّصْحَ وَأَتَتْ أَمْرًا لَا يَجُوزُ.



(١٢) هَدِيَّةٌ «لَا فِظٌ»

وَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَهَا مُتَّهَمَةً — عَلَى الْحَالِيْنَ — صَمَمَتْ وَمَضَتْ فِي تَنْفِيذِ رَغْبَتِهَا وَإِرْضَاءِ فُضُولِهَا.

فِيَا لِهَذِهِ الطُّفَلَةِ الطَّائِشَةِ الحَمَقَاءِ! لَقَدْ كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَسْتَمَعَ إِلَى النُّصْحِ، وَلَا تُخَالِفَ قَوْلَ «لَا فِظٌ».

وَإِنَّهَا لَكَذَلِكَ، إِذْ سَمِعَتْ صَوْتًا خَافِتًا، يَهْمِسُ قَائِلًا: «أَفْتَجِي لَنَا — يَا «لَا حِظَّةُ» — فَإِنَّا رِفَاقُكَ الْأَخْيَارُ (أَهْلُ الْخَيْرِ الَّذِينَ يُصَاحِبُونَكَ)، وَمَتَى رَأَيْتَنَا مَلَأْنَا بَيْنَكَ أَنْسًا وَحُبُورًا (فَرَحًا)، وَاشْتَرَكْنَا مَعَكَ فِي لُعبِكَ السَّارَّةِ الْبَهِيجَةِ».

فَقَالَتْ «لَا حِظَّةُ» فِي نَفْسِهَا: «أَيُّ هَمْسٍ أَسْمَعُ يَا تَرَى؟ أَيْمَكُنْ أَنْ يَكُونُ فِي هَذَا الصُّنْدُوقِ كَائِنٌ حَيٌّ يَتَكَلَّمُ؟ لَا بَدٌّ مِنْ كَشْفِ السَّرِّ. وَمَاذَا عَلَيَّ إِذَا رَفَعْتُ غِطَاءَ الصُّنْدُوقِ وَالْتَقَيْتُ عَلَى مَا فِيهِ نَظْرَةً وَاحِدَةً سَرِيعَةً، ثُمَّ أَغْلَقْتُهُ فِي الْحَالِ، دُونَ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِمَا فَعَلْتُ؟»

أَمَّا «لَا فِظٌ» فَقَدْ شَعَرَ بِحُزْنٍ فِي خِتَامِ هَذَا الْيَوْمِ، بَعْدَ أَنْ ضَحِكَ مَعَ الْأَطْفَالِ مَا شَاءَ أَنْ يَضْحَكَ. وَقَدْ فَاجَأَهُ الْحُزْنُ، فَلَمْ يَدْرِ لَهُ سَبَبًا.

وَقَدْ حَدَّثَتْكَ — أَيُّهَا الطُّفْلُ الْعَزِيزُ — أَنَّ الْأَطْفَالَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ كَانُوا سُعْدَاءَ، لَا يَحْزَنُونَ وَلَا يَتَأَلَّمُونَ، وَلَكِنَّ «لَا فِظًا» شَعَرَ بِالْحُزْنِ وَالْأَلَمِ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي حَيَاتِهِ، وَلَمْ يَظْفَرْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِمِثْلِ مَا كَانَ يَظْفَرُ بِهِ مِنَ الْعِنَبِ الشَّهِيِّ السَّائِعِ (الْمَحْبُوبِ)، وَالتَّيْنِ النَّاصِحِ اللَّذِيذِ.

وَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مِنْ رِفَاقِهِ سَبَبَ أَحْزَانِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَدْرِ كَذَلِكَ سَبَبَ الْإِنْقِبَاضِ الَّذِي أَلَمَ بِهِ. ثُمَّ سَمِعَ (كِرَاهِ) اللَّعِبِ، فَعَادَ أَدْرَاجَهُ (رَجَعَ فِي طَرِيقِهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ) حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْبَيْتِ، لِيَشْرَكَ «لَا حِظَّةَ» فِي لَعِبِهَا، وَيُدْخِلَ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِهَا، وَقَطْفَ لَهَا طَاقَةَ (صُحْبَةٍ) مِنَ الْأَزْهَارِ لِيَهْدِيهَا إِلَيْهَا، وَيَصْنَعُ لَهَا مِنْهَا إِكْلِيلًا يَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهَا. وَقَدْ نَسَقَ (نَظَّمَ) لَهَا تِلْكَ الطَّاقَةَ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَزْهَارِ الْجَمِيلَةِ، وَآلَفَهَا مِنَ الْوَرْدِ وَالزَّنْبَقِ وَرَهْرِ الْبُرْتُقَالِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْوُرُودِ الْعَطِرَةِ.



وَإِنَّهٗ لَعَائِدٌ - فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْبَيْتِ - إِذْ تَلَبَّدَتِ السَّمَاءُ بِالْغُيُومِ حَتَّى كَادَتْ تَحْجُبُ الشَّمْسَ. وَلَمْ يَكُنْ يَصِلُ إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى تَكَاثَفَتِ السُّحُبُ، وَتَرَكَمَ (تَكَاثَرَ) الْغَيْمُ، فَأَحْتَجَبَ الضُّوْءَ (اسْتَتَرَ النُّورَ)، وَسَادَ الظَّلَامُ فَجَاءَهُ، فَأَمْتَلَأَ الْجَوُّ حُزْنًا وَانْقِبَاضًا وَوَحْشَةً.

ثُمَّ دَخَلَ «لَا فِظُ» الْبَيْتَ وَأَقْفَلَ الْبَابَ - بِخَفِيَّةٍ - لِيُفَاجِئَ «لَا حِظَّةَ» مُفَاجَأَةً سَارَّةً، وَيَضَعُ تَاجَ الْأَزْهَارِ عَلَى رَأْسِهَا - خِلْسَةً (فِي خَفِيَّةٍ) - دُونَ أَنْ تَفْطُنَ لِمَقْدَمِهِ (مَنْ غَيْرَ أَنْ تَنْتَبِهَ لِحُضُورِهِ) وَلِكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ، حَتَّى أَبْصَرَ تِلْكَ الصَّبِيَّةَ الطَّائِشَةَ: وَاضْعَةً يَدَيْهَا عَلَى غِطَاءِ الصُّنْدُوقِ، وَهِيَ تَهْمُ بِفَتْحِهِ.

وَقَدْ كَانَ وَاجِبُهُ يَحْتَمُّ (يُوجِبُ) عَلَيْهِ - فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ - أَنْ يَصِيحَ بِهَا مُحَذَّرًا، حَتَّى لَا تُقَدِّمَ عَلَى تِلْكَ الْفَعْلَةِ النَّكْرَاءِ (الْقَبِيحَةِ). وَلَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِحَالِ (لِحَاظِ) بَيْنِهَا وَبَيْنَ وَقُوعِ الْكَارِثَةِ (حُدُوثِ الْمِصِيبَةِ)، وَلَكِنَّهُ - لِسُوءِ الْحَظِّ - كَانَ مُمْتَلَأًا رَغْبَةً فِي

تَعْرِفُ مَا فِي الصُّنْدُوقِ، فَلَمْ يُحَدِّزْ صَدِيقَتَهُ الطَّائِشَةَ مِنْ فَنَجِهِ، وَصَبَرَ عَلَيْهَا، حَتَّى تَتِمَّ عَمَلُهَا، ثُمَّ يُقَاسِمُهَا مَا فِي الصُّنْدُوقِ مِنْ نَفَائِسَ (أَشْيَاءَ ثَمِينَةٍ غَالِيَةٍ).

(١٤) فَتْحُ الصُّنْدُوقِ

لَقَدْ كَانَ «لَافِظٌ» — قُبَيْلَ هَذِهِ اللَّحْظَةِ — مِثَالًا لِلْأَمَانَةِ وَالتَّعَقُّلِ وَالتَّيَبَاتِ. أَمَّا الْآنَ فَقَدْ أَصْبَحَ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ — مِثَالًا لِلْخَبْلِ (ضَعْفِ الْعَقْلِ) وَالْفُضُولِ وَالتَّسْرُّعِ. فَقَدْ ارْتَضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يُقَرَّ صَاحِبَتَهُ «لَاحِظَةً» (يُؤَافِقُهَا) عَلَى فَعْلَتِهَا النَّكْرَاءِ، وَمَنْ أَقَرَّ مُذْنِبًا عَلَى ذَنْبِهِ، أَوْ أَعَانَ آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ (نَصَرَ مُجْرِمًا وَسَاعَدَهُ فِي جُرْمِهِ)، أَوْ شَجَعَ مُخْطِئًا عَلَى خَطِيئِهِ، فَهُوَ شَرِيكُهُ فِي الْإِثْمِ وَالْعِقَابِ جَمِيعًا. فَلَا تَعْجَبْ — أَيُّهَا الطُّفْلُ الْعَزِيزُ — إِذَا سَاوَيْنَا بَيْنَ «لَافِظٍ» وَ«لَاحِظَةٍ» فِي التَّتْرِيبِ (فِي اللَّوْمِ وَالْمُؤَاخَذَةِ)، وَجَعَلْنَاهُمَا شَرِيكَيْنِ فِي تِلْكَ الْجَرِيمَةِ الَّتِي اقْتَرَفَاها (ارْتَكَبَاها) مَعًا.

وَالْآنَ لِنَنْظُرْ إِلَى مَا فَعَلَهُ: لَقَدْ هَمَّتْ «لَاحِظَةُ» بِرَفْعِ غِطَاءِ الصُّنْدُوقِ. وَلَمْ تَكُنْ تَفْعَلُ، حَتَّى تَكَانَفَ الْغَيْمُ، وَتَلَبَّدَتِ السُّحُبُ، فَحَجَبَتْ نُورَ الشَّمْسِ وَخَيَّمَ الظَّلَامُ عَلَى الدُّنْيَا، حَتَّى خِيلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا أَصْبَحَتْ فِي مِثْلِ ظِلَامِ الْقَبْرِ. وَمَا رَفَعَتْ الْغِطَاءَ عَنِ الصُّنْدُوقِ، حَتَّى أَبْصَرَتْ جَمَهْرَةً مِنَ الْحَشَرَاتِ الْمَجْنَحَةِ (ذَوَاتِ الْأُجْنِحَةِ) تَخْرُجُ طَائِرَةً مِنَ الصُّنْدُوقِ، ثُمَّ سَمِعَتْ صُرَاخَ «لَافِظٍ» وَهُوَ يُؤَلِّوُلُ (يَبْكِي) قَائِلًا: «أَه. وَيْلَهُ! لَقَدْ لُدَعْتُ! لُدَعْتُ! أَلَا سَاءَ مَا فَعَلْتُ يَا «لَاحِظَةُ»! وَقَبِحَ مَا صَنَعْتَ أَيَّتُهَا الشَّرِيرَةُ الْخَبِيثَةُ. وَمَا لَنَا وَلهَذَا الصُّنْدُوقِ الْمَلْعُونِ؟»

وَارْتَاعَتْ «لَاحِظَةُ» (فَزَعَتْ) وَتَمَلَّكَهَا الدُّعْرُ (اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْخَوْفُ)، فَهَوَى الْغِطَاءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا، وَأَقْفَلَ الصُّنْدُوقَ كَمَا كَانَ.

وَتَكَانَفَ الظَّلَامُ فِي الْغُرْفَةِ، حَتَّى عَجَزَ «لَافِظٌ» وَ«لَاحِظَةُ» عَنْ رُؤْيَةِ مَا فِيهَا بِوُضُوحٍ. وَلَكِنَّ «لَاحِظَةَ» سَمِعَتْ طَنِينًا مُرْعَجًا، ثُمَّ أَبْصَرَتْ — بَعْدَ قَلِيلٍ — أَشْبَاحًا (أَشْكَالًا) مُفْزَعَةً ذَاتَ أُجْنِحَةٍ، وَهِيَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْحَخَفَائِشِ (الْوَطَاوِيطِ)، وَلَهَا إِبْرُ طَوِيلَةٌ فِي أُنْبَاهِهَا. وَكَانَتْ إِحْدَى هَذِهِ الْحَشَرَاتِ هِيَ الَّتِي لَدَعَتْ «لَافِظًا».

وَلَمْ تَلْبَثْ «لَا حِظَّةً» أَنْ صَاحَتْ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ، وَفَرَطِ الرَّغْبِ، لِأَنَّ حَشْرَةَ مِنْ تِلْكَ الْحَشْرَاتِ الْمُفْرَعَةِ وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهَا، وَكَادَتْ تَلْدَعُهَا، لَوْلَا أَنَّ «لَا فِظًا» أَسْرَعَ فَطَرَدَهَا وَهِيَ تَهُمُّ بِلَسَعِ جَبِينِهَا.

(١٥) أُسْرَةُ الشَّرِّ

أَرَاكَ تَسَأَلُنِي — أَيُّهَا الطِّفْلُ الْعَزِيزُ — أَيُّ حَشْرَاتٍ هَذِهِ الْحَشْرَاتِ الَّتِي كَانَ يَحْوِيهَا الصُّنْدُوقُ؟ فَاعْلَمْ — حَفِظَكَ اللَّهُ — أَنَّ هَذِهِ الْحَشْرَاتِ الَّتِي تَصِفُهَا لَكَ الْأُسْطُورَةُ هِيَ أُسْرَةُ الشَّقَاءِ. وَقَدْ حَلَّتْ أُسْرَةُ الشَّرِّ وَالْأَذَى فِي عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ، مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَهَذِهِ الْأُسْرَةُ تُمَثِّلُ النَّزَعَاتِ (المَطَالِبِ) الْحَبِيبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ الْجَامِحَةَ (الرَّغَبَاتِ غَيْرِ الْمَعْقُولَةِ)، كَمَا تُمَثِّلُ الْهُمُومَ الْمُزْجَعَةَ، وَالْأَحْزَانَ الْمُضْنِيَّةَ (المُضْعِفَةَ)، وَالْأَمْرَاضَ الْفَتَاكَةَ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا تُحْصَى، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ الرِّزَايَا وَالْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ الَّتِي يَشْكُو مِنْهَا الْعَالَمُ، وَيُعَانِي شُرُورَهَا إِلَى الْيَوْمِ.

وَقَدْ أُوْدِعَ «عُطَارِدُ» فِي ذَلِكَ الصُّنْدُوقِ كُلِّ هَذِهِ الْجَرَائِمِ الْمُؤْذِيَةِ، وَأَغْلَقَ بَابَ الصُّنْدُوقِ عَلَيْهَا، حَتَّى لَا تُؤْذِيَ أَحَدًا مِنَ الْأَطْفَالِ السُّعْدَاءِ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ. وَلَوْ حَرَصَ «لَا فِظٌ» وَ«لَا حِظَّةٌ» عَلَى حِرَاسَةِ الصُّنْدُوقِ، وَاحْتَفَظًا بِتِلْكَ الْأَمَانَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْبَثًا بِهَا، لَمَا أَصَابَ الْعَالَمَ شَرٌّ، وَلَا لَحِقَهُ أذى، وَلَمَا تَأَلَّمَ رَجُلٌ، وَلَا بَكَى طِفْلٌ إِلَى الْيَوْمِ.

وَلَكِنْ هَكَذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ، فَكَانَتْ حِمَاقَةُ «لَا حِظَّةٌ» وَسُكُوتُ «لَا فِظٌ» عَلَى عَمَلِهَا مَصْدَرِ شَقَاءِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ. فَلَوْلَا أَنَّ الْفُضُولَ دَفَعَ «لَا حِظَّةٌ» إِلَى فَتْحِ الصُّنْدُوقِ الْمُغْلَقِ، وَلَوْلَا أَنَّ «لَا فِظًا» تَرَخَى فِي رَجْرِهَا عَمَّا هَمَّتْ بِهِ، لَمَا حَلَّتِ النَّكَبَاتُ بِهَذَا الْعَالَمِ، طُولَ الدَّهْرِ.

(١٦) تَفَاقُمُ الْأَذَى

وَلَمْ يُطِيقِ الطِّفْلَانِ صَبْرًا عَلَى الْبَقَاءِ بَيْنَ الْحَشْرَاتِ الْمُؤْذِيَةِ، فَاسْرَعَا بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ وَالنَّوَاوِذِ، لِيَطْرُدَاهَا خَارِجَ الدَّارِ، وَيَتَخَلَّصَا مِنْ شَرِّهَا وَأَذَاهَا. فَتَفَاقَمَ الشَّرُّ، وَعَمَّ الْأَذَى،



وَانْتَشَرَتْ تِلْكَ الْحَشْرَاتُ الْخَبِيثَةَ فِي أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ، فَبَدَلَتْ أَفْرَاحَ الْأَطْفَالِ أَتْرَاحًا (أَلَامًا)،
وَسُرُورَهُمْ حُزْنًا، وَصِحَّتَهُمْ مَرَضًا، وَأَمْنَهُمْ رُعبًا.
وَلَمْ تَسَلِّمْ أَزْهَارُ الْعَالَمِ مِنَ الْعَمِّ وَالْأَدَى، فَانْحَنَتْ — مِنْ فَرْطِ الْأَسَى (مِنْ شِدَّةِ
الْحُزَنِ) — يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ، وَفَقَدَتْ نَضْرَتَهَا (جَمَالَهَا) وَعِطْرَهَا. ثُمَّ كَبِرَ الْأَطْفَالُ وَشَابُوا
مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ — وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَكْبُرُونَ وَلَا يَهْرُمُونَ — وَصَارَ الشُّبَّانُ وَالْفَتَيَاتُ
وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْكُهُولُ يِعَانُونَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَلَامِ وَالْمَصَائِبِ مَا يِعَانُونَ.

أَمَا الْأَذَى وَالشَّرُّ اللَّذَانِ أَصَابَا «لَا فِظًا» و«لَا حِظَّةً» فَقَدْ فَاقَا كُلُّ أَدَى وَشَرٍّ. وَقَدْ حَلَّ
الْخِصَامُ بَيْنَهُمَا مَحَلَّ الصَّفْوِ وَالْوَيْثَامِ، وَدَبَّتِ الْعِدَاوَةُ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا.
وَجَلَسَ «لَا فِظًا» فِي رُكْنٍ مُظْلِمٍ مِنْ أَرْكَانِ الْعُرْفَةِ، وَأَدَارَ ظَهْرَهُ إِلَى «لَا حِظَّةً» وَشَرَدَ
نَهْنَهُ (ذَهَبَ فَهْمُهُ)، وَأَغْرَقَتْهُ الْأَحْزَانُ.
وَارْتَمَتْ «لَا حِظَّةً» عَلَى الْأَرْضِ، وَأَسْنَدَتْ رَأْسَهَا إِلَى الصُّنْدُوقِ الْمَشْتُومِ، وَاسْتَسَلَمَتْ
لِلْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ، وَقَدْ كَادَ قَلْبُهَا يَتَمَزَّقُ حُزْنًا وَأَسَى.

(١٧) هَاتِفُ الصُّنْدُوقِ

وإِنَّهَا لَكَذَلِكَ، إِذْ سَمِعَتْ صَوْتًا خَافِتًا يَنْبَعِثُ مِنْ جَوْفِ الصُّنْدُوقِ، فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا
مُرْتَاعَةً، وَقَالَتْ مَدْهُوشَةً: «تَرَى أَيُّ صَوْتِ هَذَا؟»
ثُمَّ عَاوَدَهَا الْفُضُولُ — مَرَّةً أُخْرَى — فَصَاحَتْ قَائِلَةً: «مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الْهَاتِفُ
(الصَّائِحُ الَّذِي أَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا أَرَى شَخْصَهُ)؟ مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الَّذِي يُنَادِينِي مِنْ جَوْفِ
هَذَا الصُّنْدُوقِ الْمَشْتُومِ؟»
فَانْبَعَثَ صَوْتٌ لَطِيفٌ مِنْ جَوْفِ الصُّنْدُوقِ، يَقُولُ لَهَا فِي أَسْلُوبٍ عَذْبٍ، وَلَهْجَةٍ
مُشْفِقَةٍ (لِسَانِ نَاطِقٍ بِالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ): «اكَشِفِي عَنِّي غِطَاءَ الصُّنْدُوقِ، فَلَنْ تَرِي
مَنِّي إِلَّا مَا يَسُرُّكَ.»

فَبَكَتْ «لَا حِظَّةً» وَقَالَتْ لِذَلِكَ الْهَاتِفِ: «كَلَّا! كَلَّا! لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، وَحَسْبِي مَا
أُكَابِدُهُ (مَا أَقَاسِيهِ) مِنْ جَرَاءِ فَتْحِ الصُّنْدُوقِ (بِسَبَبِهِ)، وَمَا أَعَانِيهِ مِنَ الْآلَامِ وَالْمَصَائِبِ
مِنْ أَجْلِ هَذَا الْخَطِّ السَّيِّئِ، فَالْبَيْتُ حَيْثُ أَنْتِ فِي مَكَانِكَ مِنَ الصُّنْدُوقِ، وَحَسْبُ الْعَالَمِ
(كَفَاهُ) مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَدَى رِفَاقِكَ (أَصْحَابِكَ) وَإِخْوَتِكَ، مِنَ الْحَشَرَاتِ الْحَبِيبَةِ، الَّتِي مَلَأَتْ
الدُّنْيَا، وَطَبَّقَتْ الْآفَاقَ (عَمَّتِ النُّوَاجِي)، وَمَلَأَتْ الْجِهَاتِ.»

وَالْتَفَتَتْ «لَا حِظَّةً» إِلَى صَاحِبِهَا «لَا فِظًا» لِتَرَى رَأْيَهُ فِيمَا قَالَتْهُ، لَعَلَّهُ يَشْكُرُهَا عَلَى
تَعَقُّلِهَا فِيمَا فَاهَتْ (نَطَقَتْ) بِهِ هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَتَسْأَلُهُ أَنْ يُشِيرَ عَلَيْهَا بِمَا تَفَعَّلَهُ وَلَكِنَّهُ
اكَتْفَى بِأَنْ قَالَ لَهَا غَاضِبًا: «لَقَدْ ضَاعَتْ مِنَّا الْفُرْصَةُ، وَمَضَى زَمَنُ التَّعَقُّلِ.»

ثُمَّ عَادَ صَوْتُ الْهَاتِفِ يَقُولُ: «شَدَّ مَا تُحْسِنِينَ صُنْعًا (مَا أَجْمَلَ مَا تَصْنَعِينَ) إِذَا كَشَفْتِ عَنِّي غِطَاءَ الصُّنْدُوقِ. فَإِنِّي لَسْتُ مُؤَدِّيَا كِتَابِكَ الْحَشْرَاتِ الَّتِي رَأَيْتَهَا مِنْ قَبْلُ. وَمَا هِيَ إِخْوَتِي كَمَا تَطَّنِينَ. فَلَا عَلَيْكَ (لَا حَوْفَ عَلَيْكَ) — آيَتِهَا الْعَزِيزَةُ — وَكُونِي وَاثِقَةً مِنْ أَنَّكَ سَتَحْمَدِينَ لِي آثَارِي، (أَعْمَالِي)، حِينَ أَظْهَرَ أَمَامِكَ.»

وَكَانَ صَوْتُ ذَلِكَ الْهَاتِفِ حُلُوءًا، وَنَبْرَاتُهُ جَدَّابَةً. وَكَانَ قَلْبُ «لَا حِظَّةَ» يَرِقُّ لَهُ (يُعْطَفُ عَلَيْهِ)، وَيَرْتَاخُ إِلَى سَمَاعِ حَدِيثِهِ. فَالْتَفَتَتْ إِلَى «لَا فِظْ» تَسْأَلُهُ: «أَسَمِعْتَ يَا «لَا فِظْ» صَوْتَ هَذَا الْهَاتِفِ الصَّغِيرِ؟»

فَأَجَابَهَا مُغْضَبًا عَابِسًا: «سَمِعْتُ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَاذَا تَرِيدِينَ؟»
فَقَالَتْ لَهُ: «أَتَرَى أَنْ أَرْفَعَ الْغِطَاءَ؟»

فَقَالَ لَهَا يَائِسًا مَحْزُونًا: «أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ، فَلَنْ تَزِيدِي الْمَصَائِبَ إِلَّا وَاحِدَةً، وَلَنْ يَضُرَّ النَّاسَ — بَعْدَ ذَلِكَ — أَنْ يُضَافَ هُمْ وَاحِدٌ إِلَى مَا لِحَقَهُمْ بِسَبَبِكَ مِنَ الْهُمُومِ الَّتِي لَا تُحْصَى.»

فَقَالَتْ لَهُ، وَهِيَ تُجَفِّفُ دَمْعَهَا: «شَدَّ مَا تَقْسُو عَلَيَّ فِي خُطَابِكَ يَا «لَا فِظْ!»
فَصَاحَ الْهَاتِفُ الصَّغِيرُ: «يَا لَهُ مِنْ غُلَامٍ مَآكِرٍ، إِنَّهُ لَيَعْلَمُ — عِلْمَ الْيَقِينِ — أَنَّهُ سَيَبْهَجُ لِرُؤْيِيَّتِي، وَيَفْرَحُ بِي أَشَدَّ الْفَرَحِ. فَمَا بَالُهُ يَنْتَظِرُ بِأَنَّهُ زَاهِدٌ فِي لِقَائِي؟ هَلْمِي يَا «لَا حِظَّةَ» فَاكْشِفِي عَنِّي غِطَاءَ الصُّنْدُوقِ، لِأَنْشَقَ الْهَوَاءَ الطَّلُوقَ، وَلَنْ تَرَى مِنِّي إِلَّا مَا يُسْرِكُ، وَيَبْهَجُ نَفْسِكَ الْمَحْزُونَةَ.»

فَقَالَتْ «لَا حِظَّةَ»: «لَا بُدَّ لِي مِنْ فَتْحِ الصُّنْدُوقِ مَرَّةً أُخْرَى.»
فَأَسْرَعَ إِلَيْهَا «لَا فِظْ» وَهُوَ يَقُولُ: «وَإِنِّي لَمُعَاوِنُكَ فِي رَفْعِ غِطَائِهِ الثَّقِيلِ.»

(١٨) ابْتِسَامَةُ الْأَمَلِ

ثُمَّ تَعَاوَنَ الصَّغِيرَانِ عَلَى فَتْحِ الصُّنْدُوقِ، وَمَا كَادَا يَفْعَلَانِ، حَتَّى طَارَ مِنْهُ شَخْصٌ صَغِيرٌ، تَبَدُّوْا عَلَى فَمِهِ ابْتِسَامَةٌ عَذْبَةٌ، وَيَشْعُ (يُضِيءُ) مِنْ وَجْهِهِ السُّرُورُ وَالْبَهْجَةُ فِي جَمِيعِ مَا حَوْلَهُ، وَظَلَّ يَطِيرُ فِي أَرْجَاءِ الْغُرْفَةِ (نَوَاحِيهَا)، وَيَشْعُ نُورَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَمُرُّ فِيهِ، كَمَا تَعَكِسُ الْمِرْأَةُ أَشَعَّةَ الشَّمْسِ، فَتَبْدُدُ الْحُلُكَةَ (تُدْهِبُ الظُّلْمَةَ)، ثُمَّ طَارَ صَوْبَ



«لَافِظَةَ» (جَهْتَهُ) وَلَمَسَ مَكَانَ الْأَلَمِ الَّذِي أَصَابَهُ اللَّدْعُ، فَزَالَ أَلَمُهُ فِي الْحَالِ. ثُمَّ قَبَّلَ لَاحِظَةً فِي جَبِينِهَا، فَزَالَ عَنْ نَفْسِهَا مَا أَلَمَ بِهَا مِنَ الْحُزَنِ وَالْأَسَى. ثُمَّ طَارَ فَوْقَ رَأْسَيْهِمَا، وَظَلَّ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا مُتَلَطِّفًا بِاسْمًا، حَتَّى انْتَسَرَى (انْكَشَفَ وَزَالَ) عَنْ نَفْسَيْهِمَا كُلُّ مَا لَحِقَهُمَا مِنَ الْكُدْرِ وَالْأَلَمِ، وَعَزَاهُمَا عَمَّا أَصَابَهُمَا مِنَ الْأَذَى، وَجَعَلَهُمَا يَحْمَدَانِ مَا فَعَلَاهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، بَعْدَ أَنْ حَزِنَا لِمَا فَعَلَاهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. وَرَأْيَا أَنَّهُمَا أَحْسَنَا صُنْعًا، إِذْ أَطْلَقْنَا هَذَا السَّجِينَ الْكَرِيمَ، وَأَنْقَذَاهُ مِمَّا كَانَ يُعَانِيهِ فِي ذَلِكَ الصُّنْدُوقِ مِنْ أَدَى أَوْلِيكَ الرَّفَاقِ الْأَشْرَارِ. ثُمَّ قَالَتْ «لَاحِظَةُ»: «خَبَّرَنِي: مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الطَّائِفُ (الْخَيَالُ الطَّائِرُ) الْجَمِيلُ؟»

فَقَالَ لَهَا، وَالنُّورُ يُشَعُّ مِنْ وَجْهِهِ فِي جَمِيعِ الْأَرْجَاءِ: «إِنَّهُمْ يُسْمُونَنِي: الْأَمَل. وَقَدْ سَجَنُونِي فِي هَذَا الصُّنْدُوقِ لِأَعُوْضَ عَلَى التَّعْسَاءِ وَالْمَحْزُونِينَ كُلِّ مَا يَلُمُّ بِهِمْ (مَا يُصِيبُهُمْ) مِنْ ضُرُوبِ الْهَمِّ وَالْأَذَى؛ فَلَا تَخْشَى بَعْدَ الْيَوْمِ شَيْئًا، فَإِنِّي كَفَيْتُ بِتَبْدِيدِ الْأَمِكُّمَاءِ، وَالْقَضَاءِ عَلَى كُلِّ مَا تَشْعُرَانِ بِهِ مِنَ الْهُمُومِ.»



(١٩) حَدِيثُ الْأَمَلِ

فَقَالَتْ «لَا حِظَّةُ»: «مَا أَجْمَلَ جَنَاحَيْكَ، وَمَا أَشْبَهَ لَوْنُهُمَا بِقَوْسِ قُرْحٍ!»
فَابْتَسَمَ لَهَا الْأَمَلُ قَائِلًا: «صَدَقْتَ يَا «لَا حِظَّةُ» فَإِنِّي أَشْبَهُ شَيْءٍ بِقَوْسِ قُرْحِ الَّذِي
يُظْهَرُ فِي السَّمَاءِ بَعْدَ الْمَطَرِ فَيَجْمَعُ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الْأَلْوَانِ، وَيُوَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِهَا. وَإِنَّمَا
كُنْتُ كَذَلِكَ، لِأَنَّنِي خُلِقْتُ مِنَ الدَّمُوعِ، كَمَا خُلِقْتُ مِنَ الْإِبْتِسَامَاتِ. فَأَنَا وَلَدُ الدَّمْعِ وَابْنُ
الْإِبْتِسَامَةِ كِلَيْهِمَا.»

فَقَالَ لَهُ «لَا فِظْ»: «لَعَلَّكَ بَاقٍ مَعَنَا، وَمُصَاحِبُنَا طَوَّلَ الْحَيَاةِ؟»
فَابْتَسَمَ لَهُ الْأَمَلُ ابْتِسَامَةً لَطِيفَةً عَذْبَةً، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي رَفِيقُكُمْ وَمُصَاحِبُكُمْ،
كُلُّمَا دَعَوْتُمَانِي إِلَيْكُمْ. وَلَنْ أَتَأَخَّرَ عَنْ إِسْعَادِكُمَا وَإِنْهَاجِ نَفْسَيْكُمَا طَوَّلَ الْحَيَاةِ. وَرُبَّمَا
مَرَّتْ بِكُمْ أَوْقَاتٌ مُضْجِرَةٌ، تُخِيلُ إِلَيْكُمْ أَنَّنِي قَدِ اسْتَخَفَيْتُ عَنْكُمَا، وَتَرَكَتُكُمْ إِلَى غَيْرِ
عَوْدَةٍ.»

وَلَكِنُّكُمْ لَنْ تَلْبِثُوا أَنْ تَرَيَا جَنَاحِي يُرْفِرَانِ عَلَيَّ سَقْفِ بَيْتِكُمَا، فَيُبَدِّدَ نُورَهُمَا كُلَّ
مَا فِي قَلْبَيْكُمَا مِنْ هَمٍّ وَحَزَنِ، وَسَاحِلُ إِلَيْكُمَا هَدِيَّةً نَفِيسَةً أَقَدِّمُهَا إِلَيْكُمَا بَعْدَ زَمَنِ
قَلِيلٍ!»

فَصَاحَا يَسْأَلَانِهِ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ: «بِرَبِّكَ خَبِّرْنَا: أَيُّ هَدِيَّةٍ أَعَدَدْتَ لَنَا؟»
فَوَضَعَ الْأَمَلُ إِصْبَعَهُ عَلَى فَمِهِ الْأَرْجَوَانِيِّ (الْأَحْمَرِ)، ثُمَّ هَمَسَ قَائِلًا: «لَا تَسْأَلَانِي
عَمَّا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنْ خَيْرٍ. وَلَكِنْ اسْتَمِعَا إِلَى نَصِيحَتِي الْآنَ، فَإِنَّ فِيهَا السَّعَادَةَ وَالنَّجَاحَ
كِلَيْهِمَا.»

فَأَرْهَفَا آدَانَهُمَا، وَاسْتَمَعَا لِنَصِيحَةِ الْأَمَلِ. فَاسْتَأْنَفَ الْأَمَلُ قَائِلًا: «لَا تَيَاسَأُ أَيُّهَا الصَّدِيقَانِ،
وَلَا يَتَسَرَّبِ الْقُنُوطُ فِي قَلْبَيْكُمَا أَبَدَ الدَّهْرِ (لَا يَدْخُلُ الْيَأْسُ فِي نَفْسَيْكُمَا، وَلَا يَنْقَطِعُ
رَجَاؤُكُمْ طَوَّلَ عُمْرَيْكُمْ). وَلَا تَضْجِرَا بِشَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ، فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَإِنَّ
مَعَ الضِّيقِ فَرَجًا، وَإِنَّ مَعَ الْأَلَمِ أَمَلًا. وَلَئِنْ فَاتَكُمَا شَيْءٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِنَّكُمْ
لِظَافِرَانِ بِخَيْرٍ مِنْهُ وَأَبْقَى، فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ. احْفَظَا عَنِّي هَذِهِ النَّصِيحَةَ، وَاسْتَمْسِكَا
بِهَا طَوَّلَ الْحَيَاةِ، وَكُونَا عَلَيَّ ثِقَةً أَنَّنِي لَا أَقُولُ لَكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ.»
فَقَالَ «لَا فِظْ»: «لَسْنَا نَرْتَابُ (لَا نَشْكُ) فِي شَيْءٍ مِمَّا تَقُولُ.»

(٢٠) خاتمة القصة

وقد صدقهما الأمل وعده، كما صدق كل حي من الأحياء بعدهما. ولا يزال الأمل: يُبَدِّدُ
الأمنا وأحزاننا إلى اليوم، ويبعث فينا من روح الإقدام والعزم (الشجاعة والقوة) ما
يدفعنا إلى النجاح، ويبلغنا غايات العظام (الأمر العظيم)، ويجدد قوانا، ويقوي
عزائمنا. ولولا فسحة الأمل لضاقت بنا الدنيا، واستولى اليأس والهَمُّ على قلوبنا، ولكن
ابتسامة الأمل، هي — وحدها — التي تثير لنا طريقنا في الحياة.